المرجئة والمفتونون والمُغَرّر بهم يتهمون ابن عباس (زورا وبهتانا:

وذلك أنهم ينسبون زورا وبهتانا إلى ترجمان القرآن، أنه يقول بأن صرف التشريع لغير الله تعالى لا يعدو أن يكون كفرا دون كفر، ولا يكون كفرا مخرجا من الملة إلا بشرط الاستحلال، أو الجحود ويجعلونه عملا قلبيا.

وخلاصة قولهم أنهم يزعمون ويَدّعُون أن ابن عباس (عَلّقَ الحكم بعدم الكفر على الإقرار، ثم يفسرون الإقرار بأنه عمل قلبي، وعليه فعندهم أن العبد مهما شَرّعَ من التشريعات الجاهلية فإنه لا يكفر ويخرج من الملة إلا إذا لم يقر، أما إن أقر فهو كفر دون كفر، ثم ينسبون هذه البائقة إلى ابن عباس (.

وإليك بطلان هذا المعنى من كتاب الله تعالى بأصرح وأوضح ما يكون، لتعلم معنى الإقرار على وجهه الصحيح، وأن ابن عباس (يقول بمثل ما قال به إخوانه من الصحابة الكرام (، كحذيفة (، كما في تفسير الطبري عن حذيفة في قوله:{وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ} قال:(نعم الاخوة لكم كل حلوة ولهم كل مرة ولتسلكن طريقهم قدى الشراك).

وكذلك ابن مسعود، كما في تفسير الطبري:[عَنْ عَلْقَمَةَ , وَمَسْرُوق : أَنَّهُمَا سَأَلا ابْنَ مَسْعُودٍ عَنِ الرِّشْوَةِ, فَقَالَ: مِنَ السُّحْتِ. قَالَ: فَقَالا: أَفِي الْحُكْمِ؟. قَالَ: ذَاكَ الْكُفْرُ. ثُمَّ تَلا هَذِهِ الآيَةَ: {وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ}].

وعن البراء (كما في صحيح مسلم: عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ مُرَّ عَلَى النَّبِيِّ (بِيَهُودِيٍّ مُحَمَّمًا مَجْلُودًا فَدَعَاهُمْ (، فَقَالَ:"هَكَذَا تَجِدُونَ حَدَّ الزَّانِي فِي كِتَابِكُمْ". قَالُوا نَعَمْ. فَدَعَا رَجُلاً مِنْ عُلَمَائِهِمْ فَقَالَ:"أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ عَلَى مُوسَى أَهَكَذَا تَجِدُونَ حَدَّ الزَّانِي فِي كِتَابِكُمْ". قَالَ لاَ وَلَوْلاَ أَنَّكَ نَشَدْتَنِي بِهَذَا لَمْ أُخْبِرْكَ نَجِدُهُ الرَّجْمَ وَلَكِنَّهُ كَثُرَ فِي أَشْرَافِنَا فَكُنَّا إِذَا أَخَذْنَا الشَّرِيفَ تَرَكْنَاهُ وَإِذَا أَخَذْنَا الضَّعِيفَ أَقَمْنَا عَلَيْهِ الْحَدَّ قُلْنَا تَعَالَوْا فَلْنَجْتَمِعْ عَلَى شَيْءٍ نُقِيمُهُ عَلَى الشَّرِيفِ وَالْوَضِيعِ فَجَعَلْنَا التَّحْمِيمَ وَالْجَلْدَ مَكَانَ الرَّجْمِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (:"اللَّهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَحْيَا أَمْرَكَ إِذْ أَمَاتُوهُ". فَأَمَرَ بِهِ فَرُجِمَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لاَ يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ) إِلَى قَوْلِهِ (إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ) يَقُولُ ائْتُوا مُحَمَّدًا (، فَإِنْ أَمَرَكُمْ بِالتَّحْمِيمِ وَالْجَلْدِ فَخُذُوهُ وَإِنْ أَفْتَاكُمْ بِالرَّجْمِ فَاحْذَرُوا. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى:(وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ). فِي الْكُفَّارِ كُلِّهَا.

معنى الإقرار في سياقات التشريع والعهد:

قال تعالى:{وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (84) ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (85) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ} [البقرة: 84 - 86].

وقال سبحانه وتعالى:{وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (80) وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (81) فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (82) أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ} [آل عمران: 80 - 83].

ويل للمرجئة

معنى الإقرار في السياق القرآني:

تأمل هذين الموضعين من كتاب الله؛ ليتبين لك بكل جلاء ووضوح معنى الإقرار، في مسائل العهد والميثاق وطاعة الرسول ﷺ:

فمن هذه الآيات علمنا يقينا أن ما ينفي الإقرار وينقضه هو التولي عن الالتزام به والنكول عن العمل، وأن الإقرار هو في مقابلة التولى، كما هو صريح في هذه الآيات المباركات. وبهذا يتضح معنى الإقرار في كلام ابن عباس (والسلف رحمهم الله.

فابن عباس (يتكلم عن حاكم مُقِرّ بالشرع، أي ملتزم به ولم يَتَوَلّ عنه، بل هو عامِلٌ به في محاكمه وسياسة ملكه، فبالشرع تُفْضُّ النزاعات وإليه الرّد في الخصومات، ثم إن هذا الحاكم يحيد عن الشرع اتباعا لهواه في بعض الأحيان العارضة، والتي لم يجعلها حالة مستقرة ولا شرعا يرد إليه وتُفْضُّ به النزاعات، فهذ الذي قال فيه الجمهور إنه كفر دون كفر، أما تبديل الشرائع، وتقنين القوانين التي تُحكم بها البلاد، ويُقْضَى بها بين العباد، فهذا هو الكفر الأكبر البواح الصراح، وهذا محل إجماع بين أهل السنة والجماعة، خلافا للمرجئة والجهمية، عياذا بـالله منهم.

وهذا هدم آخر للبنيان الإرجائي، ينهدم به ركن من أركان مرجئة طواغيت الحكم في هذا الزمان، يضاف إلى الركن الأول الذي تم هدمه من قبل في كتابي (إسعاف السؤول)، ألا وهو معنى (الجحود)، حيث لعبوا بعقول الأتباع فقرروا لهم تقريرا فاسدا باطلا، وبَنَوا على ذلك عقيدة إرجائية فاسدة، تَقَوّى بها الطاغوت، ومضى قُدُما ينازع الله تعالى في حَقّ هو من أخص حقوقه سبحانه وتعالى، وصفة هي من لوازم ربوبيته، تتجلى فيها أحد أبرز معاني الربوبية، ألا وهو التشريع.

وهنا أُذكِّر بالقاعدة الإرجائية الخبيثة ألا وهي:(أن كلا من الجحود والإقرار عمل قلبي بحت، وأن من زعم الإيمان وترك العمل فقد تحقق منه الإقرار وإن لم يلتزم العمل). وكذبوا، بل هما عملان ظاهران من أعمال الجوارح وكسبها.

فلله الحمد والفضل والمنة، على ما هدى، وما فتح من البصيرة والبصر، وأسأله لي ولكم المزيد من فضله وإحسانه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى:[فَصْلٌ: وَكَذَلِكَ لَفْظُ "الْمَعْصِيَةِ" وَ "الْفُسُوقِ" وَ "الْكُفْرِ": فَإِذَا أُطْلِقَتْ الْمَعْصِيَةُ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ دَخَلَ فِيهَا الْكُفْرُ وَالْفُسُوقُ، كَقَوْلِهِ:{وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا}. وَقَالَ تَعَالَى:{وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ}. فَأَطْلَقَ مَعْصِيَتَهُمْ لِلرُّسُلِ بِأَنَّهُمْ عَصَوْا هُودًا مَعْصِيَةَ تَكْذِيبٍ لِجِنْسِ الرُّسُلِ فَكَانَتْ الْمَعْصِيَةُ لِجِنْسِ الرُّسُلِ كَمَعْصِيَةِ مَنْ قَالَ:{فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ}. وَمَعْصِيَةِ مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى قَالَ تَعَالَى:{لَا يَصْلَاهَا إلَّا الْأَشْقَى} {الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى} أَيْ كَذَّبَ بِالْخَيْرِ وَتَوَلَّى عَنْ طَاعَةِ الْأَمْرِ ، وَإِنَّمَا عَلَى الْخَلْقِ أَنْ يُصَدِّقُوا الرُّسُلَ فِيمَا أَخْبَرُوا وَيُطِيعُوهُمْ فِيمَا أَمَرُوا. وَكَذَلِكَ قَالَ فِي فِرْعَوْنَ:{فَكَذَّبَ وَعَصَى}. وَقَالَ عَنْ جِنْسِ الْكَافِرِ:{فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى} {وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى}. فَالتَّكْذِيبُ لِلْخَبَرِ وَالتَّوَلِّي عَنْ الْأَمْرِ. وَإِنَّمَا الْإِيمَانُ تَصْدِيقُ الرُّسُلِ فِيمَا أَخْبَرُوا وَطَاعَتُهُمْ فِيمَا أَمَرُوا، وَمِنْهُ قَوْلُهُ:{كَمَا أَرْسَلْنَا إلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا} {فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ}.

وَلَفْظُ " التَّوَلِّي " بِمَعْنَى التَّوَلِّي عَنْ الطَّاعَةِ مَذْكُورٌ فِي مَوَاضِعَ مِنْ الْقُرْآنِ، كَقَوْلِهِ:{سَتُدْعَوْنَ إلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمْ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} وَذَمُّهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ الْقُرْآنِ مَنْ تَوَلَّى؛ دَلِيلٌ عَلَى وُجُوبِ طَاعَةِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَأَنَّ الْأَمْرَ الْمُطْلَقَ يَقْتَضِي وُجُوبَ الطَّاعَةِ وَذَمَّ الْمُتَوَلِّي عَنْ الطَّاعَةِ؛ كَمَا عَلَّقَ الذَّمَّ بِمُطْلَقِ الْمَعْصِيَةِ فِي مِثْلِ قَوْلِهِ:{فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ}]اهـ.